Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(٣)

المدح :

برز من فنون الشعر البدوى فى العصر الجاهلى ـ على تحفظ ـ فن المدح . والمدح إبراز فضائل إنسان آخر ، وتعداد مناقبه ومحامده .

وإنما قلت إن هذا الفن برز فى الشعر البدوى على تحفظ ؛ لأن البدوى بطبيعته الفطرية خاضع لشعور بالعزة والأنفة يجعله دائما يتأبى على الخضوع للغير ، ويرفض الاعتراف بالقصور أو النقص ؛ فهو دائما يرى نفسه فى المكان الأرفع . من ثم كان من الصعب عليه أن يتحول من تلك الطبيعة إلى إنسان يقر لغيره بالسبق إلى المكرمات ، بله الإفصاح عنها فى شعره ، وإخلاص النفس لتعدادها والتغنى بها .

من ثم حرص البدوى فى هذا الفن أن يلائم بين هاتين الوجهتين المتقابلتين ـ الرغبة فى ذكر مافاته من الفضائل فى مسلك الآخرين ، والرغبة فى الحفاظ على الأنفة والعظمة الشخصية ـ فلم يتجه بمدائحه لشخص مفرد ، ولكنه كاد يقصر مدحه على الجماعات من قبائل وعشائر ـ التى اشتهرت بمحمدة من المحامد من خصال كريمة ، وأخلاق رفيعة ، وقيم سامية ، ومبادىء عظيمة كالكرم والشجاعة والعزة والأنفة أو التى قامت بعمل تحمد عليه من رعاية للجار ، أو نجدة لمستغيث ، أو حماية لمظلوم ، على نحو ماقاله ابن دارة ـ أحد بنى عبد الله بن غطفان ـ فى مدح طيء[1] :

جزى الله خيرا طيئا من عشيرة ... ومن ناصر تلقى بهم كل مجمع
هم خلطونى بالنفوس ودانعوا ... ورائى بركن ذى مناكب مدفع
وقالوا : تعلم أن مالك إن يصب ... نفدك ، وإن تحبس نزرك ونشفع

فإذا اضطر إلى مدح فرد فلأنه أحد السادة الذين يقومون على مثل تلك القبيلة العظيمة ، ويرعون شئونها ، ويحافظون على أخلاقياتها ؛ فهو يمدح القبيلة ممثلة فى هذا السيد الذى مارس السلوك الخلقى الحميد ، أو هو يمدح إنسانا قدم مايمدح عليه من

---

(١) الوحشيات لأبى تمام ص ٢٤٩ بتحقيق عبد العزيز الميمنى .